

محاكمة الأسلحة الظالمة.. رؤية عن قرب

تمهيد

يعيد الشاعر المبدع ناجي حراية إعادة طباعة ديوانه (محاكمة الأسلحة الظالمة) في طبعة جديدة بعد طبعته الأولى قبل خمسة عشر عامًا، محاولاً إعادة الاهتمام بهذه التجربة الشعرية الفريدة، والتي أرى أنها لم تأخذ المساحة التي تستحقها بحثًا وتحليلًا ونقدًا، وهنا أحاول تقديم رؤية مفرّبة من هذا المشروع الشعري المميز.

أولاً: البنية العامة للديوان

الديوان ليس مجرد نصوص شعرية متفرقة، بل هو عمل شعري ملحمي متماسك، يقوم على فكرة المحاكمة الرمزية للأسلحة التي شاركت في قتل الحسين (ع) وأصحابه في كربلاء. هذه الفكرة تمنح الديوان وحدة موضوعية، وتجعله أقرب إلى المسرحية الشعرية التي تتحرك بين مرافعات، وشهادات، وأحكام، وحوارات.

الشاعر يقيم "محكمة تاريخية" حيث تُستدعى البنادق والرماح والسيوف والنيران والخيول... لتقف أمام القاضي، وتواجه أسئلة التاريخ والضمير الإنساني.

ثانياً: المحاور الموضوعية

يمكن تقسيم الديوان إلى ثلاثة محاور كبرى:

١. محور الجريمة والمأساة

يصف الشاعر تفاصيل المذبحة التي ارتكبت في كربلاء، مبرزاً بشاعة الفعل عبر تجسيد الأدوات القاتلة وكأنها كائنات واعية. يأتي هذا المحور محملاً بالصور الدموية والصرخات والحرائق، حيث تتكلم

الأدوات نفسها وكأنها شاهدة على جريمتها أو مضطرة إليها.

٢. محور المحاكمة والمساءلة

هذا هو قلب الديوان، حيث تتحول القصائد إلى مرافعات وأسئلة استجوابية:

• من أمركم؟

• ما الذي جعلكم تصوبون نحو الأبرياء؟

• أين كنتم من صوت الضمير؟

هنا يبرز خطاب أخلاقي صارم، لا يكتفي بوصف الجريمة، بل يسعى إلى محاكمة الفكر الذي بررها.

٣. محور الرسالة والامتداد

ينتقل الشاعر من واقعة كربلاء إلى الحاضر والمستقبل، معتبراً أن الأسلحة الظالمة لا تزال تقتل الأبرياء في كل زمان، وأن كربلاء تتكرر بأشكال مختلفة. هنا يتخذ النص طابعاً إنسانياً عالمياً، حيث يصبح الحسين رمزاً لكل مظلوم، والأسلحة الظالمة رمزاً لكل استبداد.

ثالثاً: الخصائص الفنية

١. اللغة والأسلوب

• لغة الديوان جزلة، مشبعة بالمفردات القرآنية والعبارات التراثية.

• يكثر من الجمل القصيرة المقتضبة في مشاهد المحاكمة، لتكثيف الإيقاع وإبراز الحدة.

• يمتزج الوصف الحسي بالتجريد الرمزي، فينتقل القارئ من صورة السيف المملخ بالدم إلى فكرة "العدالة الغائبة".

٢. البناء الدرامي

- هناك حوار متكرر بين "القاضي" و"الأسلحة"، مع تدخل "الشهود" و"المتهمين".
- النص يتدرج من التمهيد إلى عرض الجريمة، ثم إلى المحاكمة، وصولاً إلى الحكم الختامي.
- استخدام التكرار (خصوصاً لفظ "المحاكمة") يعزز الإحساس بالإلحاح والمثول أمام التاريخ.

٣. الصورة الشعرية

- صور حركية مشحونة بالعنف: دماء تتدفق، نيران تلتهم، سهام تخرق.
- صور حسية ناطقة: الأسلحة تتكلم وتبرر أو تتوسل.
- استعارات كبرى: تحويل الأسلحة إلى شخصيات لها وعي وإرادة.

رابعاً: الدلالات الفكرية

- الديوان يحمل رسالة إدانة الحرب والظلم في كل أشكالهما.
- يستحضر رمزية كربلاء لتأكيد أن المأساة لم تكن حادثة تاريخية معزولة، بل درساً دائماً.
- يعكس وعياً بأن "العدالة الشعرية" قد تكون بديلاً عن العدالة التي عجز التاريخ عن تحقيقها.

خامساً: التقييم العام

محاكمة الأسلحة الطالمة ديوان فريد في توظيفه للملحمة التاريخية في شكل محكمة شعرية. يتميز بجرأته الأسلوبية، وبمزجه بين الشعر والمسرح، وبين الرمز والواقع. قوته في وحدته الموضوعية والبناء التصاعدي الذي يجعل القارئ يتابع كأنه أمام مشهد محاكمة حقيقية، وضعفُه المحتمل في أن كثافة اللغة الرمزية قد تُصعِّب على القارئ العادي ملاحقة التفاصيل التاريخية إذا لم يكن مطلعاً على

الخاتمة النقدية التأويلية

يمكن قراءة محاكمة الأسلحة الظالمة في ضوء التحولات التي شهدتها الشعر العربي الحديث نحو المسرحية الشعرية والخطاب الرمزي المقاوم. فالشاعر، عبر تحويل واقعة تاريخية إلى مشهد محاكمة، يفتح على تقنيات المسرح الشعري كما عند صلاح عبد الصبور وأحمد شوقي، لكن بروح معاصرة تجعل من التاريخ أداة لتأويل الحاضر.

من الناحية الفكرية، الديوان يستفيد من أدب المقاومة، حيث يواجه الاستبداد والقتل لا بلغة الخطابة المباشرة، بل عبر رمزية الأسلحة التي تصبح شخصيات فاعلة، ما يجعل النص قابلاً للتطبيق على أي صراع معاصر يشهد ظلمًا وانتهاكًا للإنسانية. هنا يلتقي الديوان مع تجربة محمود درويش في إعادة إنتاج الرموز التاريخية لتصبح أدوات نقد للواقع السياسي والاجتماعي.

كما يمكن اعتباره نصًا تعددي القراءة:

- على المستوى الديني، هو استحضار ملحني لكربلاء بوصفها ذروة الفداء.
- على المستوى الإنساني، هو إدانة لكل آلة قتل، في كل زمان ومكان.
- وعلى المستوى الفني، هو تجربة شعرية تقترب من القصيدة الدرامية ذات الأصوات المتعددة، ما يمنح النص طاقة تمثيلية يمكن أن تتحول إلى عمل مسرحي أو عرض شعري حي.

إن قوة هذا الديوان تكمن في أنه يكسر جدار الزمن، فلا تبقى محاكمة الأسلحة حدثًا من الماضي، بل تتحول إلى محاكمة مفتوحة لكل أدوات القتل في عالم اليوم، من قذائف الحروب إلى خطاب الكراهية، ومن الحرب البشعة إلى التدمير البيئي.

بهذا المعنى، يصبح محاكمة الأسلحة الظالمة نصًا مقاومًا معاصرًا، يشارك في تيار أدبي عربي واسع يسعى إلى إعادة كتابة التاريخ بوصفه وسيلة لفضح آليات الظلم المتجددة، وتذكير الأجيال بأن صوت المظلوم قد يُخمد لحظة، لكنه في الشعر يظل خالدًا.

